

تفسير البغوي

127 - قوله د : { وإن رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل } قال الرواية : إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش فشكى إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى البيت المعمور من ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال : يا آدم إني أهبط لك بيتك تطوف به كما يطاف حول عرشي تصلي عنده كما يصلي عند عرشي وأنزل الحجر وكان أبيض فاسود من لمس الحirsch في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا وقيص الله ملكا يدلله على البيت فحج البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا : بر حرك يا آدم لقد حجتنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال ابن عباس رهما : حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه وبعث جبريل عليه السلام حتى خباء الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت حاليا إلى زمن إبراهيم ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدهما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله أن يبين له موضعه فيبعث الله السكينة لتدلله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحياة فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطورت السكينة على موضع البيت كتطوي الحجهة هذا قول علي والحسن .

وقال ابن عباس : بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل : أرسل الله جبريل ليدلله على موضع البيت كقوله تعالى { وإن بوأنا لإبراهيم مكان البيت } فبني إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يتناوله الحجر فذلك قوله تعالى : { وإن رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل } يعني أسسها واحدتها قاعدة .

قال الكسائي : جدر البيت وقال ابن عباس : إنما بني البيت من خمسة أجمل طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس علمًا فأتاه بحجر فقال : ائتنى بأحسن من هذا فمضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس : يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل : إن الله تعالى

بني في السماء بيته وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بخياله على قدره ومثاله وقيل : أول من بنى الكعبة آدم واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه .

قوله : { ربنا تقبل منا } فيه إضمار أي يقولان : ربنا تقبل منا بناءنا { إنك أنت السميع } لدعائنا { العليم } بنياتنا